المحاضرة (03)

عُنْوَانُ المُحَاضَرَةِ: مفهوم ما بعد الحداثة

المدةُ: ساعة

الفئةُ المُستهدفةُ: طلبة السنة الثانية ماستر، تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

تمهيد:

تمتد فترة ما بعد الحداثة (Post modernism) من سنة 1970م إلى سنة 1990م، ويقصد بها النظريات والتيارات والمدارس الفلسفية والفكرية والأدبية والنقدية والفنية التي ظهرت ما بعد الحداثة البنيوية والسيميائية واللسانية، وقد جاءت ما بعد الحداثة لتقويض الميتافيزيقا الغربية، وتحطيم المقولات المركزية التي هيمنت قديما وحديثا على الفكر الغربي، كاللغة، والهوية، والأصل، والصوت، والعقل... وقد استخدمت في ذلك آليات التشتيت والتشكيك والاختلاف والتغريب، وتقترن "ما بعد الحداثة" بفلسفة الفوضى والعدمية والتفكيك واللا معنى واللا نظام، وتتميز نظريات "ما بعد الحداثة" عن "الحداثة" التي سبقتها بقوة التحرر من قيود التمركز، والانفكاك عن اللوغوس Logos والتقليد وما هو متعارف عليه، وممارسة كتابة الاختلاف والهدم والتشريح ، والانفتاح على الغير عبر الحوار والتفاعل والتناص، ومحاربة لغة البنية والانغلاق والانطواء، مع فضحِ المؤسسات الغربية المهيمنة، وتعرية الإيديولوجيا البيضاء، والاهتمام بالمدنس والهامش والغريب والمتخيل والمختلف، والعناية بالعرق، واللون، والجنس، والأنوثة، وخطاب ما بعد الاستعمار....

- ليكون السؤال المطروح كالآتي: ما مفهوم ما بعد الحداثة؟

- **مفهوم ما بعد الحداثة:**

من المصطلحات الأكثر التباسا وإثارة في فترة الحداثة وما بعدها، مصطلحُ "**ما بعد الحداثة**" نفسه، حيث اختلف حوله نقاد ودارسو ما بعد الحداثة؛ نظرا لتعدد مفاهيمه ومدلولاته من ناقد إلى آخر، بل نجد أن المعاني التي قُدّمت لمفهوم ما بعد الحداثة متناقضة فيما بينها ومختلفة ومتداخلة، حتى أثير حول استخدام مفهوم مصطلح "**ما بعد الحداثة**" نقاش مستفيض، إذ يعتبر من أهم المصطلحات التي: "شاعت وسادت منذ الخمسينيات الميلادية، ولم يهتد أحد بعد إلى تحديد مصدره، فهناك من يُعيد المفردة إلى المؤرخ البريطاني "أرنولد توينبي" عام 1954م، وهناك من يربطها بالشاعر والناقد الأمريكي "تشارلز

أولسون" في خمسينيات القرن الماضي، وهناك من يحيلها إلى ناقد الثقافة "ليزلي فيدلر"، ويحدد زمانها بعام 1965م، على أن البحث عن أصول المفردة أفضى إلى اكتشاف استخدامها قبل هذه التواريخ بكثير، كما في استخدام "جون واتكنز تشابمان" لمصطلح "الرسم ما بعد الحداثي" في عقد 1870م، وظهور مصطلح "**ما بعد الحداثة**" عند "رودولف بانفتز" في عام 1917م"[1].

وقد تبين واضحا أن أفكار "**ما بعد الحداثة**" مختلفة نسبيا عن مفاهيم الحداثة السابقة، وهناك من يرى أن أفكار ما بعد الحداثة مختلفة جذريا عن أفكار الحداثة، ويعتقد بعضهم أنه من الممكن اعتبار الكُتّاب والفنانين في مرحلة ما قبل الحداثة على أنهم ما بعد حداثيين، بالرغم من أن المفهوم لم يكن مصاغا آنذاك، وهذا أقرب إلى الجدل الذي يرى نظريات "سيغموند فرويد" عن اللاوعي أنها موجودة مسبقا في الفكر الرومانسي الألماني، وقد ناقش الفيلسوف الألماني "يورغن هابرماس" (Habermas) أنّ مشروع الحداثة لم ينته أبدا بعد، حيث يواصل هذا المشروع سعيه لتحقيق أهدافه، وبهذا يقصد "هابرماس" قيمَ تنوير العقل والعدالة الاجتماعية، ويُعدُّ مصطلح "**ما بعد الحداثة**" في نظر الكثيرين إشارة عامة إلى دور وسائل الإعلام في المجتمعات الرأسمالية في أواخر القرن العشرين، وأيا كان استخدامه المفضل، فمن الواضح أن نظرية تفسير التطورات الاجتماعية والثقافية عن طريق السرديات الكبرى لم تعد ممكنة أو مقبولة، وأنه لم يعد ممكنا للأفكار أن تكون مرتبطة ارتباطا وثيقا مع الواقع التاريخي، فكل شيء هو النص والصورة، وبالنسبة للكثيرين يحاول العالم الذي يتم تصويره في فيلم "الماتريكس"، –حيث نجد الحياة البشرية تقلد الآلات التي تسيطر عليها–، إقناعَ المشاهدِ بعالم "**ما بعد الحداثة**"، لإقناعه بكابوس من عالم الخيال العلمي، فهذا العالم هو بمنزلة استعارة أو مجاز عن حالة الإنسان الحالي"[2].

وهناك من الباحثين والدارسين من يربط ما بعد الحداثة بفلسفة التفكيك والتقويض، وتحطيم المقولات المركزية الكبرى التي هيمنت على الثقافة الغربية من أفلاطون إلى يومنا هذا، وفي هذا الصدد يقول "دافيد كارت" (David karter)" في كتابه: "النظرية الأدبية" "وتُعبّرُ هذه المواقف من فلسفة "**ما بعد الحداثة**" عن موقف مُتَشكّكٍ بشكل جوهري لجميع المعارف البشرية، وقد أثرت هذه المواقف على العديد من التخصصات الأكاديمية وميادين النشاط الإنساني (من علم الاجتماع إلى القانون والدراسات الثقافية، من بين الميادين الأخرى)، وبالنسبة للكثيرين تعد "**ما بعد الحداثة**" عدمية على نحو خطير، فهي تقوض أي معنى للنظام والسيطرة المركزية للتجربة، فلا العالم ولا الذات لهما وحدة متماسكة"[3].

ومن ثم، فقد اعتمدت فلسفة "**ما بعد الحداثة**" على التشكيك والتقويض والعدمية، كما اعتمدت على التناص واللا نظام واللا انسجام، وإعادة النظر في الكثير من المسلمات والمقولات المركزية التي تعارف عليها الفكر الغربي قديما وحديثا، ومن ثم تُزعزعُ ما بعد الحداثة– حسب دافيد كارتر– :"جميع المفاهيم التقليدية المتعلقة باللغة والهوية؛ إذ نسمع كثيرا من الطلاب الأجانب الذين يدرسون الأدب الإنكليزي ينعتون أي شيء لا يفهمونه أو يعبرون عنه بما بعد حداثي، وكثيرا ما تكشف النصوص الأدبية في ما بعد الحداثة عن غياب الانغلاق، وتركز تحليلاتها على ذلك، وتهتم كل من النصوص والانتقادات بعدم وضوح الهوية، وما هو معروف باسم "التناص" مثلا: هو إعادة صياغة الأعمال المبكرة أو الترابط بين النصوص الأدبية"[4].

كما يمكن الحديث في إطار "**ما بعد الحداثة**" عن أربعة منظورات تجاهها، المنظور الفلسفي الذي يرى أن مابعد الحداثة دليل على الفراغ بغياب الحداثة نفسها، والمنظور التاريخي الذي يرى أن "**ما بعد الحداثة**" حركة ابتعاد عن الحداثة أو رفضا لبعض جوانبها، والمنظور الإيديولوجي السياسي، الذي يرى أن "**ما بعد الحداثة**" تعرية للأوهام الإيديولوجية الغربية، والمنظور الاستراتيجي النصوصي، الذي يرى أن مقاربة نصوص "**ما بعد الحداثة**" لا تتقيد بالمعايير المنهجية، وليست ثمة قراءة واحدة، بل قراءات منفتحة ومتعددة[5].

هوامش المحاضرة:

1. **سعد البازعي وميجان الرويلي :دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ، سنة 2000م، ص 138.**
2. **ديفيد كارتر :النظرية الأدبية، ترجمة: د. باسل المسالمه، دار التكوين، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى سنة 2010م، ص 130.**
3. **المرجع نفسه، ص 131.**
4. **المرجع نفسه، ص 131.**
5. **https://www.alukah.net/publications_competitions/0/38509/#ixzz6iVOFeekA**